الفصل الثالث
الحمراء قبل القرن السابع الهجرى = ١٣م

obeikandl.com

obeikandl.com

غرناطة وآثارها الطائلة:

(١) المدخل الحالى لقصر الحمراء. (٢) الساحة الأولى.

(٣) أنقاض المسجد. (٤) دهليز.

(٥) ساحة المعشوقة. (٦) برج المعشوقة.

(٧) المنشور. (٨) ساحة قاعة الذهب.

(٩) قاعة الذهب. (١٠) ساحة قمارش أو الريحان.

(١١) قاعة البركة. (١٢) قاعة قمارش.

(١٣) الحمام الملكى. (١٤) ساحة الملكة.

(١٥) قاعات شارل الخامس. (١٦) برج الشرفات.

(١٧) حديقة. (١٨) منظرة.

(١٩) قاعة السيدات. (٢٠) ساحة الأسود.

(٢١) قاعة المقربصات. (٢٢) قاعة الملوك.

(٢٣) قاعة بنى سراج. (٢٤) الجب.

(٢٥) الخندق. (٢٦) الروضة.

(٢٧) الكنيسة الجديدة وقصر شارل الخامس.

(٢٨) قصر شارل الخامس.

obeikandl.com

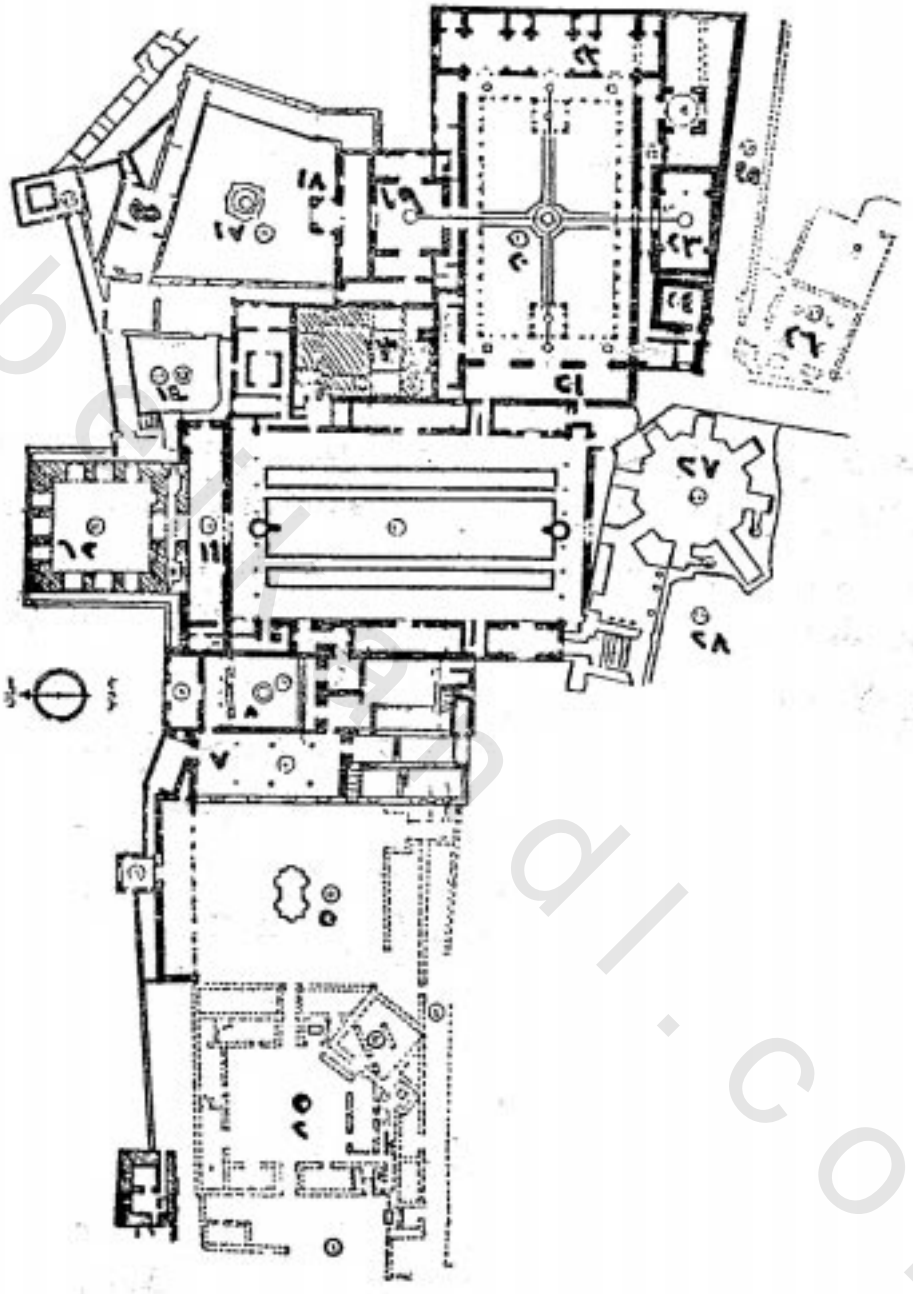

ـ مسقط افقى لقصر الحمراء ـ

الحمراء قبل القرن السابع الهجرى - ١٣م

تكاد تتفق كلمة معظم مؤرخى الحمراء، على أن هذا الاسم عرف به القصر فى نهاية القرن الثالث الهجرى المقابل القرن التاسع الميلادى. وكان يطلق على حصن صغير لجأ إليه العرب الفارون أمام الفلاحين الثائرين الذين طوردوا فى أثناء الفتن التى شبت خلال حكم الأمير عبد الله الأموى وكان هذا الحصن قد شيد عند طرف هضبة السبيكة الغربى. وفى أيام بنى نصر امتدت مبانى الحمراء فوق الهضبة كلها. وإن هذا الحصن الصغير الذى شيد فى نهاية القرن ٣هـ = ٩م، يغلب أنه هجر فى نهاية أيام الخلافة. وفى أوائل النصف الأول للقرن ٥ هـ = ١١م: أعيد بناؤه واتسعت أرجاؤه ففى أيام الوزير صامويل بن نجرلو اليهودى فيما بين ٤٤٣هـ = ١٠٥٢م، ٤٤٧هـ = ١٠٥٦م. ثم نهض الأمير الزيرى عبد الله بتحسينه، بعد أن تأثر بما شاهده فى قصر بليلوس المسيحى الذى استولى عليه.

ذكر هذا الحصن عدة مرات فى أثناء الصراع بين الأمراء الإسبانيين والمرابطين والموحدين. وقد كانت مساحته صغيرة، والدليل على ذلك أن فرق ابن حمشق اضطرت لأن تعسكر خارج أسواره. وتدل بعض مخلفات جدرانه وأبراجه المجاورة لمبنى الحمراء «الحديث» على ضعف بنيانه وبساطة مواده التى شيد بها.

ولما دخل محمد بن الأحمر غرناطة فى رمضان ٦٣٥هـ = مايو ١٢٣٨م أقام فى قصبة بنى زيرى التى كانت فى مدينة غرناطة نفسها. لكنه لم يدخر وسعًا فى إنشاء قصر الحمراء فى أسرع وقت مستطاع. وقد بدئ بالعمل فيه بعد أشهر قلائل من دخول غرناطة. وكان المبنى الجديد يختلف اختلافًا بينًا عن الحصن القديم، فى أغراضه وسعته وفخامته. فالحمراء أكثر من حصن وقصر معًا. إنه مدينة ملوكية كاملة، وقاعدة الحكومة النصرية، كما كانت مدينة الزهراء، والمدينة الزاهرة وقصبة الموحدين فى مراكش.

وكان فى مقابل الحى التجارى للمدينة: قصبة أخرى، عدل بناؤها وأضيفت إليه مبان أخرى لتسع حاجة النصريين بعد تأسيس ملكهم الجديد. ولقد احتوت بالإضافة إلى القصور الملكية، على المصالح الحكومية الإدارية ودار الضرب وثكنات الحرس وكبار الموظفين وكل ما يحتاج إليه الخدم والأتباع، وما يحتاج إليه أهل المدينة من المصانع والحوانيت والمسجد الكبير والحمامات..

وكان المنظر الطبيعى الذى يضم القصبة والقصر والمدينة كامل الروعة تطل جميعًا على نهر حدارة (دارو) عند التقائه مع نهر شنيل، وتل السبيكة أو الدور الصغيرة التى تفيد القصور. أما مشيد الأسوار الخارجية، فهو محمد الأول ومحمد الثانى. وفى القرن ٨هـ/ ١٤م فى أثناء حكم يوسف الأول (٧٣٣ - ٥٥/ ١٣٣٣ - ١٣٥٤) شيدت أبراج قمارش، وبرج المطرقة والقنديل، والأبواب الكبرى الثلاثة: باب الشريعة، باب الطباق الثلاثة، وباب السلاح. أما برج المتزين (Peinador) فقد أتمه السلطان محمد الخامس.

وعلى ذلك يمكن القـول بأن الأسـوار المحيطة بأعلـى الهضـبة أخـذت شكلها النهائى فى منتصف الـقرن ٨هـ - ١٤م وقد قنع السلاطين الذين تولوا الحكم بعد ذلك ببناء قواعد المدافع ضـد تهديدات ملوك النصارى خلال القرن الخامس عـشر، وقد شـيدت تلك المصاطب (الـقواعد) عند أسـفل البوابات الثلاث الكبرى.

وثلاثة من أبواب الحـمراء وهى: الشـريعة، والطبـاق الثلاثة، والقـمم المسننة، تؤدى إلى الخارج (تفتح على الخارج). أمـا باب السلاح، فهو وحده الذى يصل الحمراء بالمدينة.

ولأبواب الحمراء نسب معيارية ضخمة من كتل المبانى الحجرية وتتضمن الدهاليز المقباة ذوات الانثناءات والتعرجات الكثيـرة وأحيانًا تتقاطع وهى تعتبر من أرقى نماذج الأبواب فى العمارة العسكرية. ولبـاب الشريعة وهو خال من الأبراج عقد جميل ودعامات عالية.

أما الأبواب الأخرى فلا تختلف كـثيرًا عن معظم الأبواب الكبرى التى شيدها الموحدون أو المرينيون فى مراكش، ولا سـيما عندما يكون لها برجان. وللأسوار الخارجية العالية ممشى للحرس له دورة تعلوها الشرفات. ولا يخفى أن توزيع الأبراج فى الأسوار غير متساو، فهى مـقامة عند مسافات مختلفة: وتتوسط المسافة بين البرج والآخر قرابة خمسين مترًا.

قلنا أن لبعض الأبراج طباقًا عالية وهذه تشـتمل على قاعات كبيرة، من أهمها قاعـة العرش أو قاعة السفراء التـى تشغل الطابق العلوى فى برج مربع وكبير. ولهذه القاعة ومثيلاتها نوافذ كبيرة تطل على غرناطة وعلى البرج.

وعند هذا النشز الرائع تنتهى جبال سييرانفادا. ولقد تغنى شعراء غرناطة بجمال هذا الموقع الخلاب الذى يجمع الجبال والوديان والسهول والأنهار والغابات، تتوسطها الهضبة التى ارتفعت عليها مبانى الحمراء. تلك الهضبة التى امتدت طولاً قرابة ٤٧٠ مترًا، وعرضًا حوالى ٢٢٠ مترًا.

بدأ العمل فى تشييد قنطرة كبيرة لنقل المياه من الجبال المجورة إلى الهضبة، وكانت المياه متوافرة فى كل مكان بالمدينة وفى قصور النصريين.. الماء.. الماء الذى خلق الله منه كل شىء حى. والمعروف أن جميع مبانى الحمراء لم ينته العمل منها فى أيام محمد بن الأحمر بل انتهت فى أيام ابنه الأمير محمد الثانى (٦٧١ - ٧٠١ / ١٢٧٣ - ١٣٠٢) ومنذ ذلك الحين لم يغير ملوك النصريين قاعدتهم الفخمة حتى غادروا نهائيًا عام ١٤٩٢م.

والحمراء قبل أى شىء حصن منيع. إن هذا الحصن ذا الأسوار والأبراج المنيعة الذى يحيط بالحمراء من أقوى وأروع ما عرف فى فن العمارة الحربى، إنه وحده يستحق العناية والدراسة. والفناء الكبير الذى تضمه الساحة فى الداخل والذى ينحدر على كلا الجانبين من الهضبة، كان مقسمًا إلى ثلاثة أجزاء: فإلى الغرب يقع مجمع من التحصينات المترابطة المتماسكة: أعنى القصبة وفى أعلى جزء كانت تقع مبانى قصور الحمراء، وعلى السفوح المنحدرة للهضبة والتى تمتد فى ناحية الشرق كانت تقع مدينة غرناطة.

حصن الحمراء وأسواره:

فى طرف التل، المواجه Vega تقع القصبة حصنً منيعًا، مستقلة تمامًا عن بقية الحمراء. اشتملت على مساحة كبيرة كأرض لتدريب الجند للعرض، أقيمت فيها بعض الدور الصغرى بعد ذلك، ويحيط بهذه المساحة سور منيع

مثلث الشكل، ويشتمل على ستائر من الجدران المرتفعة، تكتنفها الأبراج وتدعمها ثلاثة أبراج شامخة ومقباة وإلى الشرق سور خارجى آخر. ولهذه القصبة بوابتها الكبرى المؤدية إلى الخارج.

أما الأسوار التى تحيط بقصور الحمراء كلها والتى تكملها القصبة طبعًا فى ناحية الغرب فهى منيعة ومشيدة بالحجارة القوية وتتألف من جدار واحد فقط. وهذه الأسوار عالية: تكتنفها الأبراج الكبرى وعددها ثلاثة وعشرون. أبراج كبيرة، الطابق العلوى لمعظمها يحتوى على الردهات وسنجمع فى الثبت الآتى أبراج الحمراء:

أبراج الحصن (القصبة) المحيطة بالحمراء:

نذكر فيما يلى أهم أبراج القصبة وأبوابها، ويلاحظ أن أسماءها ليست من وضع الأندلسيين، ولكن أطلق الإسبان هذه الأسماء عليها.

١ - برج الحراسة (تورى دى لافيلا).

٢ - باب السلاح.

٣ - برج التكريم (تورى أومبناخ).

٤ - البرج المهدوم (تورى كيبرادا).

٥ - برج الدراق (تورى دى أدارجيرو).

٦ - باب الشريعة

٧ - باب النبيذ.

٨ - برج المطرقة.

٩ - بهو قمارش.

١٠ - برج قمارش.

١١ - برج متزين الملكة (بينا دور دى لارينا).

١٢ - برج النساء (تورى دى لاس داماس).

١٣ - برج البرطل.

١٤ - برج القمم المسننة (تورى دى لاس بيكوس).

١٥ - باب الحديد.

١٦ - برج القنديل.

١٧ - برج الأسيرة (برج أبى الحجاج).

١٨ - برج الأميرات (تورى دى لاس انفانتاس).

١٩ - برج الماء.

٢٠ - برج الطباق السبع (تورى دى سييتى سويلوس) أو برج الغندور.

٢١ - برج الطليعة (تورى دى لا أتاليا).

٢٢ - برج الرءوس (تورى دى لاس كابيثاس).

نقوش برج الأسيرة:

احتفظ هذا البرج من خـارجه بمظهره الأصلى وله باب فخم نقش على عتبته هذه الكتابة:

obeikandl.com

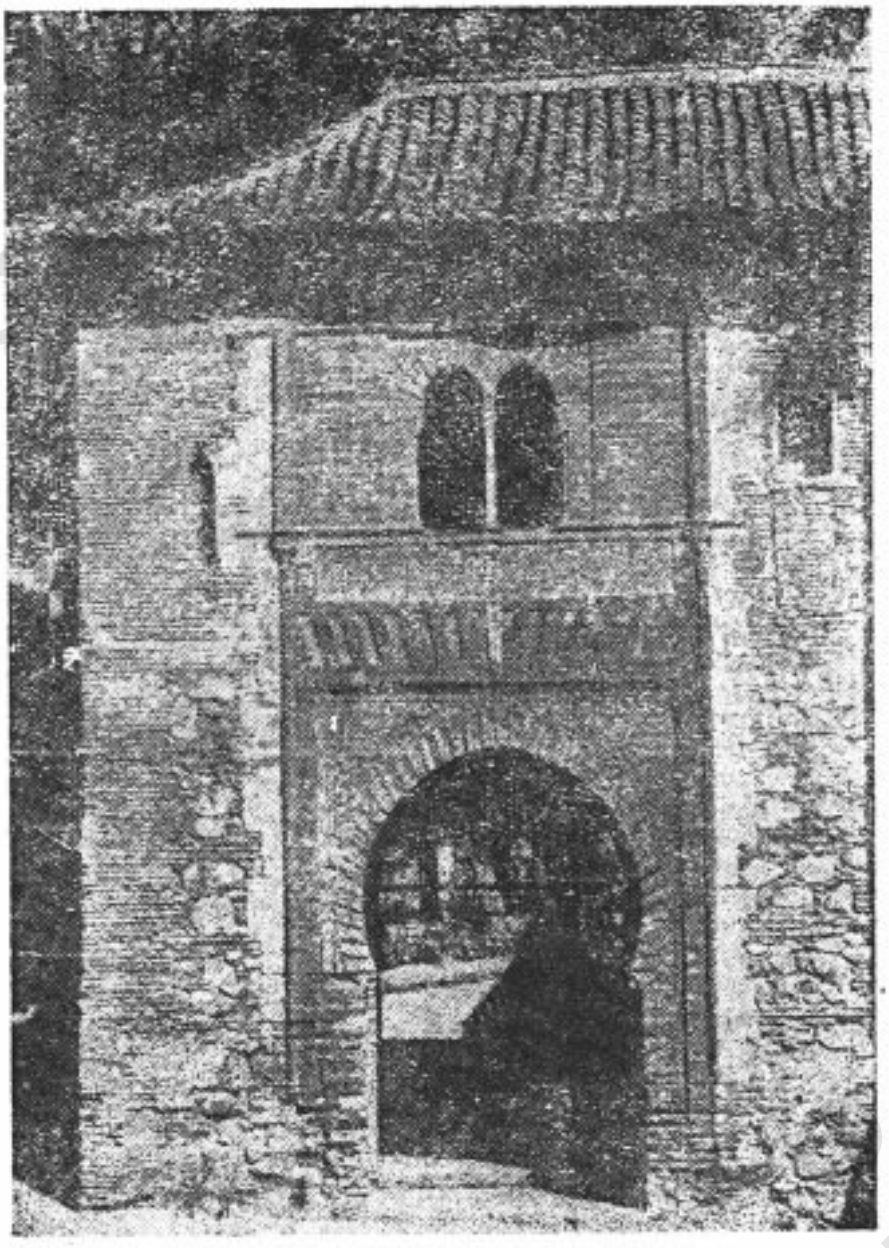

الواجهة الغربية لباب البلد

«. . الباسل أبى عبد الله الغنى بالله، ابن مـولانا أمير المسلمين السلطان الجليل، الملك الأصـيل، ذو المحـامـد والمناقب، والعطايا الجـزيلة والمواهب، الحامـى الديار، القامع أعـداء الله الكفار، أبى الحـجاج ابن مـولانا السلطان المعظم». وفى إحدى غـرف البرج، نقرأ الآية الكريمة: «إنا فـتحنا لك فتـحًا مبينًا. .».

وفى البـرج الذى يليه من ناحـية الشـرق، وهو برج الأميـرات نقوش بالدعاء للسلطان أبى عبد الله المستغنى بالله وهو على الأغلب السلطان محمد الغنى بالله.

والمعـروف أن تلك المجمـوعـة الرائعة من الـتحـصينـات التى شيـدها السلاطين النصـريون لم تهاجم، فقد كـانت الغزوات النصرانية ضـد غرناطة تقف أمام أسوار المدينة الخارجية دون أن تتعرض للهجمات العنيفة أو للحصار القـوى. حتى نصل إلى الحـصار الأخـير الذى أدى إلى سـقوط غـرناطة فى ١٤٩١/ ١٤٩٢ وتسليمهـا إلى الملكين الكاثوليكيين فى ٢ يناير ١٤٩٢م. وفى أعقاب لتسليم، دخل فرديناند وإيزابيلا إلى الحمراء فى ٦ يناير. ويمكن القول بأن حصون الحمراء وقصورها سلما من التخريب والتدمير إلى حد كبير.

باب الشريعة:

باب الشريعة هو المدخل الرئيسى لقصر الحمراء اليوم. نقش على قوسه سطران، كتب فيهما بخط أندلسى متشابك، العبارات الآتية:

«أمر ببناء هذا الباب المسمى باب الشريعة، أسعد الله به شريعة الإسلام كما جعله فخرًا باقيًا على الأيام، مولانا أمير المسلمين السلطان المجاهد العادل أبو الحجاج يـوسف ابن مولانا السلطان المجاهد المقدس أبى الوليـد ابن نصر

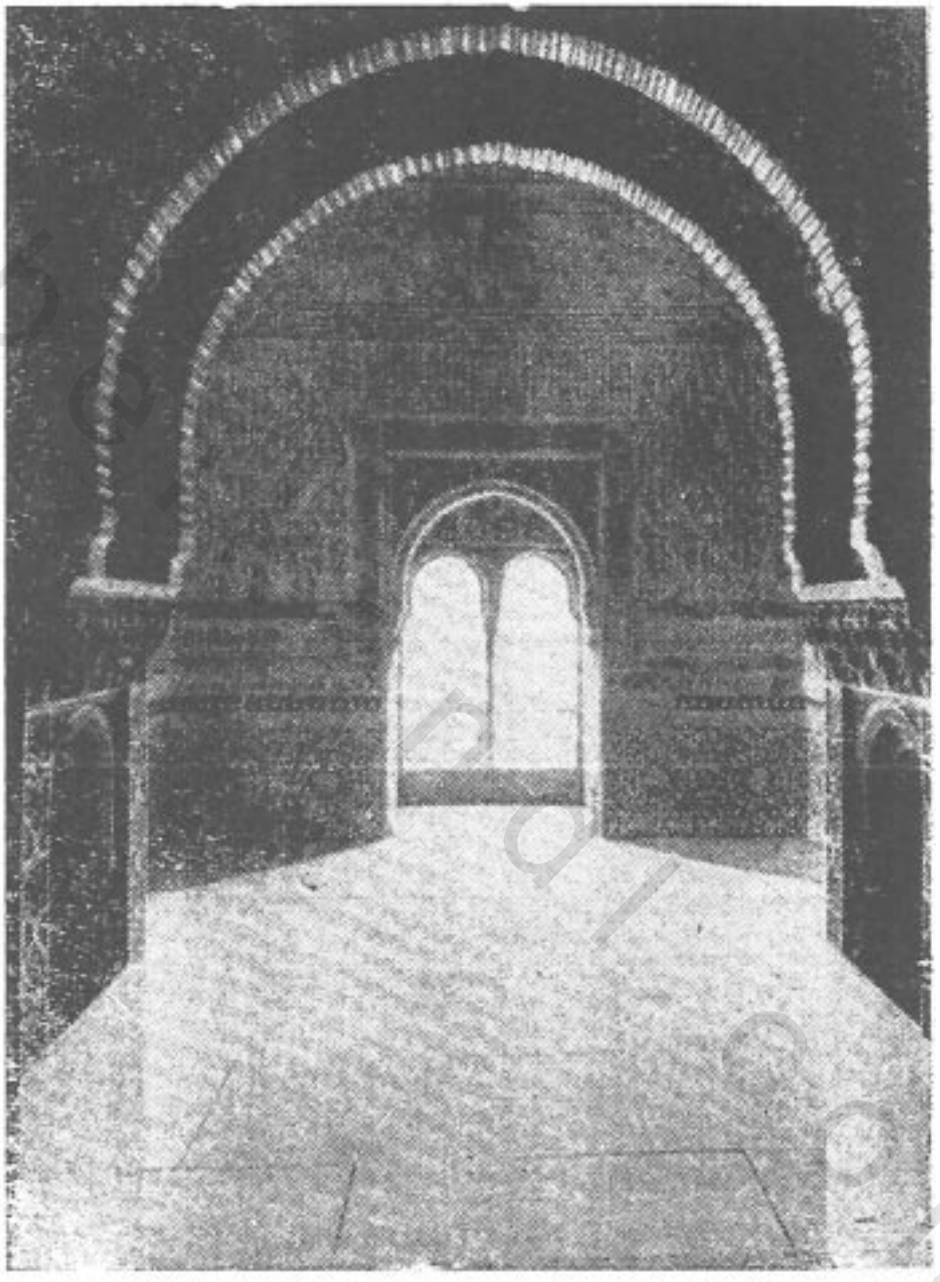

برج الأسيرة من الداخل

كافى الله فى الإسلام صنائعه الزاكـية وتقبل أعماله الجهادية، فـتيسر ذلك فى شهر المولد المعظم من عام تسعة وأربعين وسبعمائة، جعله الله عزة وافية وكتبه فى الأعمال الصالحة الباقية. .».

يقابل هذا التاريخ ٧٤٩هـ سنـة ١٣٤٨م، والسلطان يوسف أبو الحجاج هو أعظم سـلاطين مملكة غـرناطة، (حكم من ١٣٣٣ - ١٣٥٤) وقـد شيـد أفخم أجنحة الحمراء وأجملها.

ووراء باب الشريعة مجاز معقـود، به فى الناحية اليمنى محراب، وفى نهايتـه مصلى وقد صنعت به لوحة رخـامية أشيـر فيها إلى حصـار غرناطة، وتسليمها للملكين الكاثوليكيين، فرديناند وإيزابيلا فى ٢ يناير ١٤٩٢م.

ثم نصل إلى باب الخمر وهو اسم مستحدث:

ويتـوج هذا الباب نص تاريخى يتـضمن اسـم السلطان الغنى بالله ابن السلطان أبى الحجاج الذى شيد باب الشريعة.

وعند خروجنا من باب الخمر، نجد أنفسنا فى ميدان الجب، وعلى يميننا قصـر شارل الخامس الذى هدم من أجل إقـامته جـانب من قصور الحـمراء. وعلى اليسار نشاهد قصبة الحمراء.

قلنا إن معظم مبانى الحمراء القائمة اليوم، يرجع الفضل فى إنشائها إلى السلطان أبى الحجاج يوسف بن أبى الوليد إسماعيل سابع سلاطين بنى نصر. وهو الذى شيد أيضًـا باب الشريعة (المؤدى إلى الشارع) ومنه نعبـر إلى ساحة الجب (صهـريج المياه) وباب الشـريعة بوابة يتـمثل فيـها الأسلوب المعـمارى العربى يرتفع قـرابة خمس عـشر متـرًا يؤدى إلى وسط مبانى الحـمراء، إلى

باب الشريعة

الميدان الواقع بين القسم الحربى من مبانيها أى الأبراج، والقسم المدنى وهى الدور والحدائق ودواوين الدولة.

وللأستاذ الدكتور حسين مؤنس رأى فى تسمية باب الشريعة فهو يرى أن المقصود بالشريعة هنا ليست الشريعة الإسلامية، بل المقصود الشارع (الطريق).

يدخل الزائرون - اليوم - إلى قصور الحمراء عن طريق ممر يشبه المنزل يؤدى إلى دهليز قصير، ومعه تصل إلى قاعة المشور.

وهذا الجزء الذى ندخله، لم يكن أهل غرناطة يدخلون منه لأن القاعة التى تعرف الآن بالمشور كانت وسط سلسلة من القاعات والأبهاء، تهدمت كلها. وكان أهل غرناطة يدخلون من باب آخر فى نهاية ميدان الجب.

قصور الحمراء:

إن قصور الحمراء التى يحظى العالم بمشاهدتها ليست هى التى شيدت فى القرن ٧ هـ - ١٣م، تلك خربت فى القرن الثامن، لتقوم فى مكانها هذه القصور المستحدثة التى بقيت إلى اليوم. وهناك مجموعة من مبانى الحمراء، كانت تقع فى الغرب ودمرت منذ زمن وقد كشفت التنقيبات منذ سنوات عن أسسها، ويبدو منها فناء مربع، تطل عليه عدة قاعات صغيرة، وإلى جانبها مسجد (مصلى) صغير. وهذا المسكن الساذج نسبيًا كان يتبعه ساحة كبيرة عرفت بساحة المطرقة، يحده شمالاً سقيفة تؤدى إلى ردهة كبيرة تقع فى أعلى أحد الأبراج المتصلة بالسور المحيط بالحمراء.

تلك هى مجموعة المبانى التى اندثرت. أما القصور الحالية فتتألف من

مجوعتين أخريين، شيد كل مجموعة حول مساحتين على محاور عمودية كبرى. فالمجموعة الأولى وهى دور قمارش يسبقها بهو المشور، وساحة صغيرة، وقد شيد البناء السلطان يوسف الأول (٧٣٣ - ٥٥/ ١٣٣٣ - ٥٤). أما المجموعة الثانية فهى قصر السباع وقد شيده محمد الخامس (٧٥٥ - ٩) (٨/١٣٥٤) و(٧٦٩ - ٩٤هـ) / (٩٢/١٣٦٨). وهناك بعض الحمامات القديمة ومسجد يصل بين المجموعتين المذكرتين اللتين شيدتا فى القرن الرابع عشر.

المشور:

تم إنشاء المشور سنة ١٣٦٥، كما تشهد أبيات للوزير ابن زمرك شاعر الحمراء[١] وهو المكان الذى خصص فى القصر للموظفين الذين يعاونون السلطان فى إدارة شئون دولته. لقد تغيرت سماته الرئيسية ولم يبق منها سوى بعض زخارفه الجصية وفسيفسائه الرخامية وفى شعار بنى الأحمر وبعض ما تبقى من النقوش العربية وأهم ما تبقى من المشور، قاعته الكبرى وفيها نقش باسم السلطان محمد الملقب بالغنى بالله، تضمنته أبيات الشعر التالية:

يا منصب الملك الرفيع

ومحرز الشكل البديع

فتحت للفتح المبين

وحسن صنع أو صنيع

(١) نظم ابن زمرك قصيدة رائعة تتناول الحمراء، تعتبر من أجمل ما نظم الشعراء فى وصف المبانى، جاء نصها فى كتاب «أزهار الرياض» للمقرى جـ٢ ص ٦٥ وما بعدها.

أثر الإمـــام مـــحـــمـــد

ظل الإلـه علـى الجـــمـــيع

وتوجد خلف هذه القاعـة «مصلى» تحتفظ إلى اليوم بمحرابهـا الجميل، وتتـوجه عـبـارة منقـوشة بخط كـوفى: «أقـبل على صـلاتك ولا تكن من الغافلين».

وفى المشور «القاعة المذهبة» نسبة إلى الزخارف المذهبة التى ازدانت بها. وهناك ساحة إلى جنوبها تقع سقيفة تحتها بابان: الأيسر منهما يؤدى إلى قاعة صغيرة تقود الزائر إلى بهو الريحان، والباب الأيمن يؤدى إلى المدخل الأصلى للقصـر وقد سدت مـعالمه اليوم، وفـوق الباب ذى الدفـتين طراز من الخشب نقشت عليه تلك الأبيات:

منصـــبى تاج وبابـى مـفـــرق

يحـــسب المـغـــرب فى المشـــرق

والـغنـى بالله أوصـــــانـى أن

أشـــرع الفـتـح لفـتـح يطرق[1]

فـــأنا مـنتظـر طلعـــتـــه

مـثل مـا يبـــدى الصـبـاح الأفق

أحـــسـن الله له الصنع كـــمـــا

حـــــــسـن الخلـق لـه والخلـق

(١) قرأ أحدهم الكلمتين الأخيرتين بالسيف المعلق.

obeikandi.com

وأبيات ابن زمرك التى وصف فيها قاعة المشور، تعتبر الوصف الوحيد الباقى بين أيدينا لهذه القاعة، كما كانت عندما فرغت من إنشائها يد الفنان:

به البهو قد حاز البهاء وقد غدا
به القصر آفاق السماء مباهيا
وكم حلة قد جللته بحليها
من الوشى تنسى السابرى اليمانيا
وكم من قسى[1] فى ذراه ترفعت
على عمد بالنور باتت حواليا
فتحسبها الأفلاك دارت قسيها
تظل عمود الصبح إذ لاح باديا
سوارى قد جاءت بكل غريبة
فطارت به الأمثال تجرى سواريا
به المرمر قد شف نوره
فيجلو من الظلماء ما كان داجيا
إذا ما أضاءت بالشعاع تخالها
على عظم الأجرام منها لآليا

(١) هى أقواس صغيرة قامت عليها قبة سقف المشور وقد زالت تلك القبة الآن.

obeikandl.com

ساحة الريحان[١]:

إنها أعـجب ما فى الحمراء جـميعًا، تتـوسطه بركة مسـتطيلة وأحواض تحف بجوانبها أشجار الريحان، بناها مـحمد الخامس ونقشت فى زوايا ساحة الريحان العـبارة الآتية: «النصـر والتمكين، والفتح المبين لمولانا أبى عـبد الله أمير المؤمنين». والآية: «وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم».

ونقشت على االفريز الرخامى الأوسط للساحة قـصيدة من اثنى عشر بيتًا ركيكة، بها أغلاط كثيـرة لأنها من صنع محدث، نقلت تحت إشراف الأثريين الإسبان فتسربت إليها عند النقل أغلاط كثيرة. وفيما يلى مطلع القصيدة:

تبـــارك من ولاك أمـــر عـبـــاده

فأولى بك الإسـلام فضلا وأنعـما

فكم بلدة للكفـر صـبحت أهلهـا

وأمسـيت فى أعمارها متـحكما[٢]

ومنها عن يمين الباب الشمالى المؤدى إلى البهو المجاور:

---

(١) Patio de Alberca - Patio de los Arrayanes.

(٢) يلى هذا البيت، الأبيات الآتية:

وطوقتهم طوق الاسار فأصبحوا

ببابك يبنون القصور تخدما

وفتحت بالسيف الجزيرة عنوة

ففتحت بابا كان للنصر مبهما

ومن قبلها استفتحت عشرين معقلا

وصيرت ما فيها لجيشك مغنما

obeikandi.com

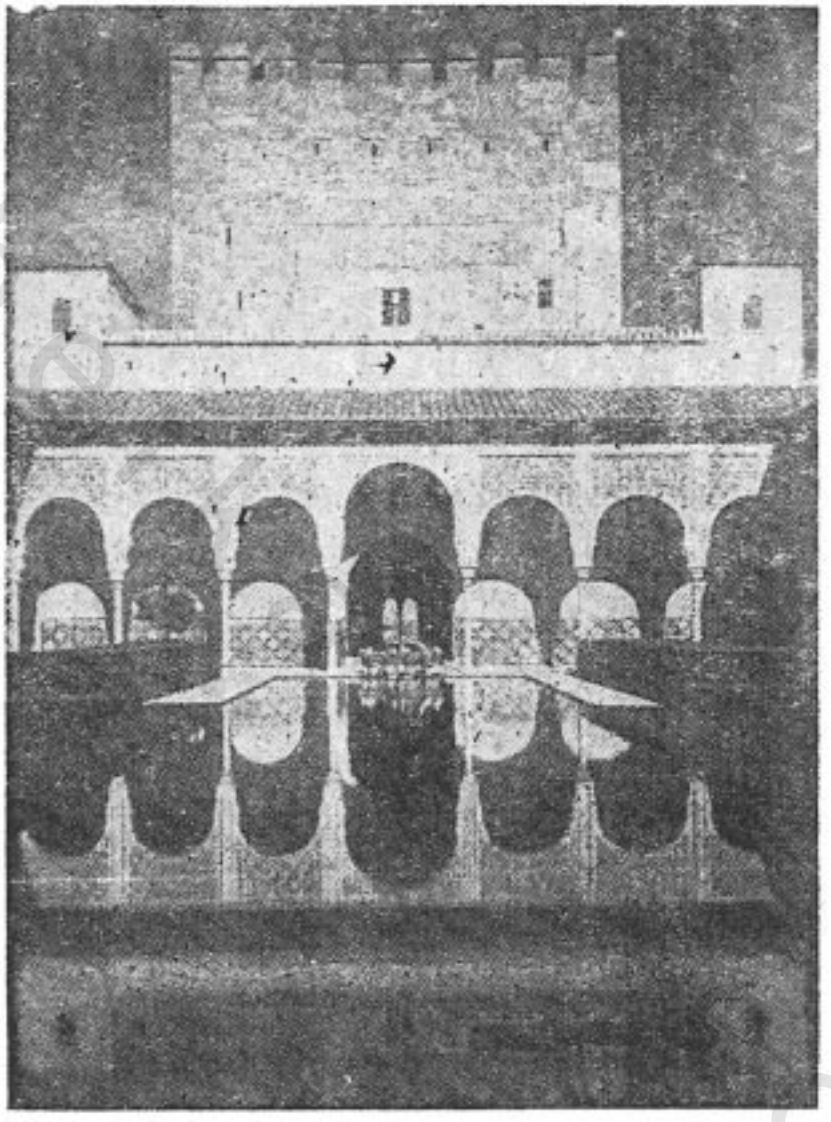

ساحة الريحان

ولو خـيـر الإسلام فـيـمـا يريده

لما اخـتـار إلا أن تعـيش وتسلمـا

وتلـك آثارها فـى كل مكـرمـــة

أبدى وأوضـح بدرا إذا انتـظمـــا

وعن يسار الباب:

فـيا ابن العلى والحلم والبـأس والندى

ومن فـاق آفـاق النجـوم إذا أنتـمـا

طلـعت بأفـق المليـك رحـــمـــة

ليـجلو مـا قـد كـان بالظلم أظلمـا

فأمنت حـتى الغصن من نفحة الصـبا

وأرهبت حتى النجـو فى كبد السـما

فـإن رعـشت زهر النجـوم مـخيـفـة

وإن سـال غصن البـان شكرك يمـا

وقد نقشت فوق الأبيات وتحتهاا عبارة: «لا غالب إلا الله» باستمرار.

ويفضى باب ساحة الريحان الشمالى إلى بهـو صغير يسمى بهو البركة، به قبلة زينت بنقوش جميلة، وقد نقش على جانبها الأيمن:

أنا مـــــجـــــلاة عـــــروس

ذات حـــــسـن وكـــــمـــــال

obeikandi.com

فـــــانظـر الإبريـق تعـــــرف

فـضل صـديقـى فى مـقـال

واعـــتـــبـــر تـاجى تجـــده

شـــبـــهـــا تاج الهـــلال

وابن نـصـــر شـــمس فـلك

فى ضـــيـــاء وجـــمـــال

دام فى رفـــعـــة شـــان

آمـــنـــا وقـــت الـــزوال

وعلى جانب القبلة الأيسر:

وأنا فـــخـــر لصـــلاة

ســـمت ســمـت السـعـــادة

تحـــسب الإبريـق فـيـــهـــا

قـــايـما يقـــضى عـــبـــادة

كلـمـــا تـفـــرغ منهـــا

وجـفـت فـيـهـا الإعـادة

وبمـولاى ابـن نـصـــــــــر

شـــــرف الله عـــبـــاده

قـــد نمـاه ســيـــد الخـــز

رج ســعـــد ابـن عـــبـــاده

obeikandi.com

ويفضى بهو البركة من الناحية الشمالية، إلى أعظم أبهاء الحمراء وهو:

بهو السفراء أو بهو قمارش[1]:

أروع ما فى هذا البهو زخارف قمته التى احتفظت بنقوشها الأصلية، أما نقوش الجدران، فمع جمالها ليست إلا تجديداً مقلداً لنقوشها القديمة، وقد نقشت فى عقد باب بهو السفراء العبارات الآتية: «الحمد لله على نعمة الإسلام، وعز لمولانا أبو الحجاج عز نصره».

ونقشت الأبيات الآتية فى جانب العقد الأيمن بعد عبارة «الحمد لله»:

فقلت الحسان بحليتى وبتاج
وهو إلى الشهب فى الأبراج
يبدو إناء الملك فحى كعابد
فى قبلة المحراب قام يناج
ضمنت على مر الزمان مكارمى
ذى الاوام وحاجة المحتاج
فكأننى استقربت آثار الندى
من كف مولانا أبى الحجاج
لا زال بدراً فى سمائى لايحا
ما لاح بدر فى الظلام الداج

(١) يسمى أيضًا قاعة السفراء، وقمارش جمع إسبانى للفظ قمرية، وهى المنور الصغير المزين بالزجاج الملون.

obeikandl.com

ونقشت الأبيات الآتية على جانب العقد الأيسر بعد عبارة «الحمد لله»:

وقـمت أتـأمل صـانعى ديـبـاجى

من بعـد مـا نظـمت جـواهر تاج

وحكيت كـرسـى العـروس وزدته

إنى ضـــمـنت ســـعـــادة الأواج

من جاءنى يشكو الظمـاء فموردى

صـرف الزلال العـذب دون مـزاج

فكأننـى قـوس الغـــمـــاء إذا بدا

والشـمـس مـولانا أبو الحـــجـاج

لا زال مـحـروس المهابة مـا غـدا

بيت الإلـه مـــثـــابة الحـــجـــاج

ونقش فى الدائرة العلـيا للبـهـو، العـبارة الآتيـة مكررة: «عـز لمولانا السلطان أبى الحجاج».

ونقشت فى أسـفل مدار القبـة بحروف بيـضاء نص سورة تبـارك كلها وأولها: بسم الله الرحـمن الرحيم ﴿**تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (٢) الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ (٣) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ (٤)**﴾. ونهايتها: ﴿**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٨) قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ**

وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾ ﴾.

وعلى جدار المشرفية، وهو الجدار الشمالى للبهو نقرأ هذه العبارة منقوشة فى أعلاه: النصر والتمكين والفتح المبين لمولانا أبى الحجاج أمير المسلمين نصره الله» مكررة مرارًا.

ونقش فى محيط البهو شعار بنى نصر: «لا غالب إلا الله». ونقشت الأبيات الآتية فى إحدى فجوات القبة السفلى:

تحييك منى حين تصبح أو تمسى
ثغور المنى واليمن والسعد والأنس
هى القبة العليا ونحن بناتها
ولكن لى التفضيل والعز فى جنسى
جوارح كنت أتقلب لا شك بينها
وفى القلب تبدو قوة الروح والنفس
وإن كان أشكالى بروح سمايها
ففى عدا ما بينها شرف النفس
كسانى مولاى المؤيد يوسف
ملابس فخر واصطناع بلا لبس
وصيرنى كرسى ملك فأيدت
علاه بحق النور والعرش والكرسى

obeikandl.com

ونقشت فى الفجوات الأخرى مقابل هذه الأبيات العبارة الآتية: «النصر والتمكين والفتح المبين لمولانا أبى الحجاج أمير المسلمين أيد الله أمره وعز نصره».

ويؤدى بهو البركة من جهته اليمنى إلى فناء سفلى يعرف بفناء السرو، وقد استحدثه الإسبان وزرعوا فيه بعض أشجار السرو، وإلى جانبه يقع جناح الحمامات السلطانية.

حمامات الحمراء:

يعتبر حمام الحمراء، الواقع إلى جانب السرو، قرب بهو البركة، من أروع الحمامات العربية، فهو تحفة فنية رائعة تتواكب مع فتنة الحمراء. وتشتمل هذه الحمامات على ثلاثة أقسام: الاستراحة، والغرفة الدافئة والغرفة الساخنة. أما الاستراحة، ويسميها الإسبان قاعة السريرين، فتتألف من سريرين أقيما بالطوب فى جانبى القامة، وكسيا بالقراميد ذات الألوان المختلفة، وبأعلى هذين السريرين عقدان صغيران ذات الألوان المختلفة، وبأعلى هذين السريرين عقدان صغيران متجاوران، يقومان على ثلاثة عمد، غاية فى الدقة والرشاقة، اثنان على الجانبين لصق الجدارين، والثالث فى الوسط، وأمام السريرين نافورة مياه، وتعتبر هذه الردهة - وفى العادة - استراحة، يجلس فيها السلطان قبل أن يمضى إلى الغرفة الدافئة، ومن المحتمل لكى يخلع فيها ملابسه، فضلاً عن أنها بعد الفراغ - من الحمام، يجلس بها السلطان بعض الوقت قبل مغادرته.

أما القسم الثانى من الحمامات فهو الغرفة الدافئة وتلى الاستراحة مباشرة، وفيها نجد حوضًا كبيرًا، تتصل به أنابيب سفلية، علاوة على أنابيب

أخرى بالحوائط لتدفئة المكان، وكلها تتصل من الجهة الأخرى ببيوت النار، وذلك بطريقة فنية محكمة بالإضافة إلى أنبوبة مستقلة تنشر العطر فى جو الحمام(١).

ويلى هذه الغرفة، الحجرة الساخنة، وبها هى الأخرى حوض كبير تعله كوة فى الجدار، وبها فتحتان، كانتا فيما مضى منبعًا للماء بنوعيه الساخن والبارد، وبهذه الكوة قشت قصيدة من ستة أبيات، من نظم الشاعر ابن زمرك، وهذه الأبيات هى:

أعجب شىء حادث أو قديم
مرابض الأسد ببيت النعيم
من أسد قابله مثله
قاما لدى المولى مقام الخديم
تقاسما وصفى علاه فمن
باس له جام وجود عميم
يفيض ذا عذبا برودا وذا
ضد له فهو يفيض الحميم
هذا وكم من عجب عاجب
يسره سعد المقام الكريم

(١) د. محمد كمال شبانة: شواهد من الفن المعمارى الأندلسى فى عصر السلطان أبى الحجاج يوسف (٧٣٣ - ٧٥٥هـ). منبر الإسلام، يوليو، ص ١٥٩ - ٦١٤.

من كـــأبى الحـــجـــاج سلطـانا

لا زال فى نصـــر وفـــتح عـظيم

وبهذه الحمامات بعض النقـوش الخطية الأثرية بنى نصر «ولا غالب إلا الله» ومنها حكم سائرة من مثل «الله عـدة بكل شدة»، ومنها دعاء لمنشئ هذا الجناح من الحمـراء مثل: «عـز لمولانا أبى الحجاج» ومنهـا آيات كريمة كـقوله تعالى: «نصر من الله وفتح قريب».

وتشير بعض النقوش والزخارف الكتابية إلى دور ابن الحجاج فى إكمال ما نقص من بنيان هذا الحمام.

قاعة الأختين:

تقع شرقى بهو (فناء) البركة قـاعة الأختين، ونصل إليها من باب الفناء الشرقى من رواق مظلم وقـيل أنها سمـيت بهذا الاسم لاحتواء أرضـها على قطعتين متساويتين وفريدتين من الرخام. وقد نقش عند مدخلها بالخط الكوفى «ولا غالب إلا الله» مـكررة، ونقشت هذه العـبارة أيضًـا حول جدرانـها فى أسفل وأعلى، ونـقش تحتهـا بعض الأبيات المقـتبسـة من قصـيدة الوزير ابن زمرك(١).

ويحيط بقـاعة الأخـتين عدة شرفـات، الشرفة الرئيـسية تـسمى منظرة داراشا أو ليـندراشا ويقال أن الأولـى تحريف لدار عائـشة، والثانيـة لعين دار عائشة(٢).

(١) نفح الطيب: جـ٤ ص ٧٠٥ - ٧٠٩ طبعة بولاق، تراجع القصيدة كاملة.

(٢) المقصود من «عين» هنا - المنظرة (د. مؤنس)

بهو الأسود:

وتؤدى قاعة الأختين من بابها الجنوبى إلى أروع أجنحة الحمراء - بهو الأسود أو بهو السباع. وقد أنشأه السلطان محمد الغنّى بالله الذى تولى السلطنة فى عام ٧٥٥هـ/ ١٣٥٤م وتوفى سنة ٧٩٣هـ/ ١٣٩١م، ويقابلنا اسمه فى كثير من مواضع هذا الجناح.

وشاءت الظروف أن يظل هذا القصر سليمًا لم يلحقه التدمير الذى أصاب العمائر الإسلامية بالأندلس عقب استرداد المدن الإسلامية وذلك لأنه اتخذ مسكنًا للملكين الكاثوليكيين فرناندو وإيزابيلا عقب سقوط غرناطة عام ١٤٩٢م فى يدهما(١).

وزائر هذا البهو يصل إليه من باب صغير مفتوح فى الجدار الفاصل بينه وبين بهو الرياحين (البركة) الذى كان المقر الرسمى لسلاطين بنى الأحمر حيث كانت تقام حفلات الاستقبال فى قاعة السفراء ببرج قمارش على الفناء المشتمل على بركة مستطيلة محاطة بشجر الريحان فإذا عبرنا هذا الباب وجدنا أمامنا بهو السباع وهو القصر الخاص بسكنى السلاطين. شيده السلطان محمد الخامس (١٣٥٤ - ١٣٥٨ - ١٣٦١ - ١٣٩١)، كما تدل على ذلك النقوش الكتابية التى تزين الجدران.

البهو عبارة عن فناء يحيط به ممر ومن خلفه القاعات والغرف. الفناء مستطيل تبلغ أبعاده - ١٢٦ × ٧٣ × ٢٢,٥ قدمًا وتتوسطه نافورة بلغت شهرتها الآفاق وهى نافورة السباع. وهى تبدو كقطعة كبيرة من الرخام قطرها

(١) جمال محرز: بهو السباع بقصر الحمراء بغرناطة. المجلة التاريخية المصرية.

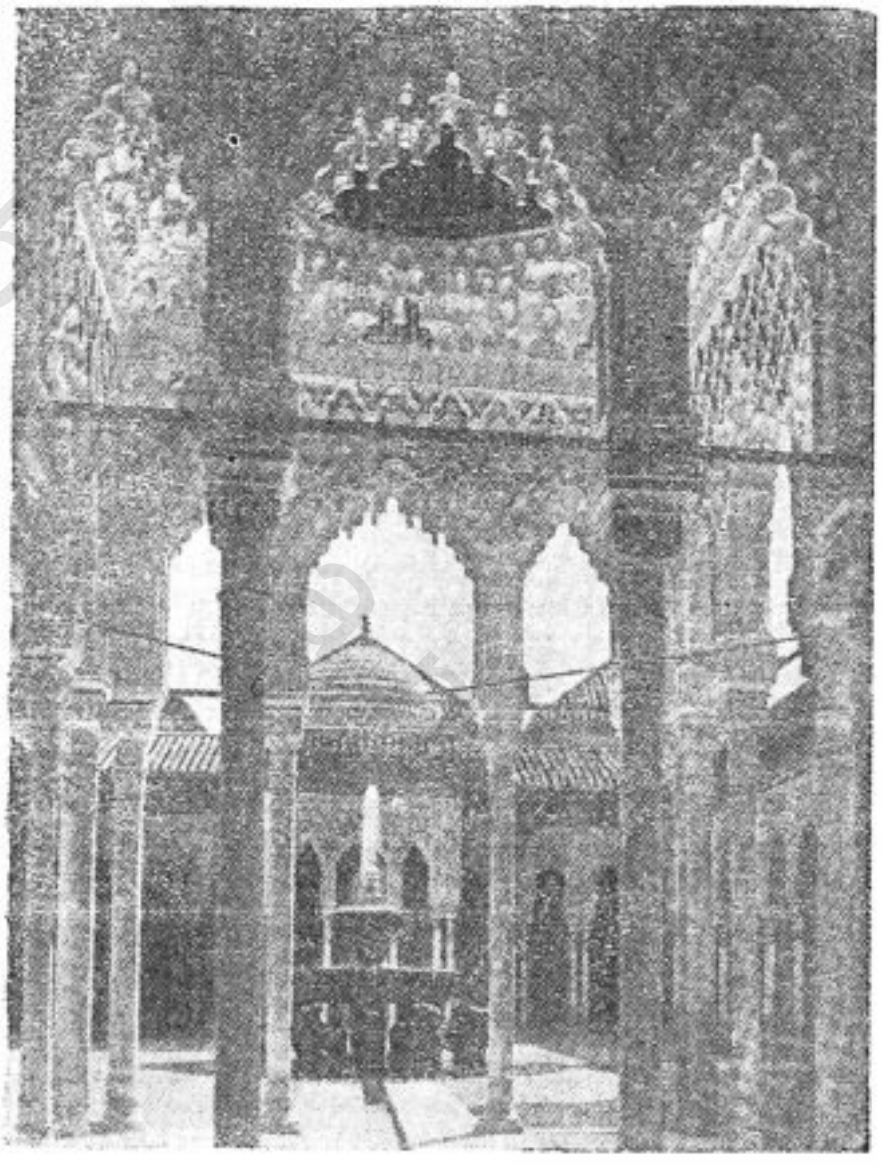

ســـاحة السباع

١٠,٥ قدمًا وعمقها قدمان ويدور حـول حافتها العليا من الخارج نقش عربى فى أبيات من الشعر لابن زمرك سنذكرها فيـما بعد. ويحمل هذه القصعة اثنا عشر أسـدا ارتفاع كل واحد منهـا قدمان ونصف تمج الماء من أفواههـا حيث تنسـاب فى قنوات تصل إلى نافورتين إحـداهما بغـرفة ابن سـراج والأخرى بغرفـة الأختين، كما تصـل أيضًا إلى نافورتين أسفـل الكشكين وبكل كشك نافورة من الرخام.

ويصل الماء إلى قـصر الحمـراء من نهر حدرة، وهو عـمل هندسى راق يدل على براعة المهندسين المسلمين إذ استطاعوا أن يرفعوا الماء من أسفل الجبل إلى قمته فأحالوا تلك المنطقة إلى جنة خضراء.

ويحيط بالبناء عمـد تبلغ ١٢٤ عمودًا موزعة حولهـا فرادى أو مثنى أو ثلاث أو رباع، وجمـيعـها من الرخـام الأبيض، ويبلغ طول العمـود الواحد عشرة أقدام، وتمتاز برشاقتها، وتقرأ أحـيانًا فوق تيجانها عبارة «ولا غالب إلا الله» شعـار بنى الأحـمر. وبالفناء كـشكان، كشك بكل ضلع، وارتفـاع كل منهمـا ٢٩ قدمًا، ويتكون من ١٢ عـقداً من المقرنصـات يحملها ٢٠ عـمودًا ذوات تيجان مزينة بنقوش كتابية ومزخرفة بالجص المخرم. وقبة الكشك نصف كروية ومزخرفة بمتشابكات من نجوم وأشكال متعددة الأضلاع.

ومن خلف هذين الكشكين والأعمدة المقامة حول الفناء ممر عرضه ٧,٥ قدم، ويدور حول الفناء ومن ارتفاع واحد كورنيش من الخشب المزخرف الذى يحمل الحائر (الرفرف) المجمول على كوابيل مزخرفة.

وفى الفناء طائفـة من النقوش التى كتـبت بالخط النسخ أو الكوفى على الجدران والعمد والنافورة، وسنذكرها:

نقش شعار بنى نصر «ولا غالب إلا الله» بالنسخ والكوفى، فى الجانب القبلى خلف العمد، وفوق تاج كل عمود من العمد التى تحمل القبة، وكذلك على رءوس جميع العمد الأخرى. ونقشت العبارة الآتية على كل عمود ثان «عز لمولانا السلطان أبى عبد الله الغنى بالله».

ونقش على العمد التى تحمل القبة المواجهة (البحرية) «ولا غالب إلا الله» ونقش على رءوس العمد فى المجموعتين الأخريين «عز لمولانا السلطان أبى عبد الله الغنى بالله».

وإلى جانب هذه الأدعية التى تمجد ذكرى أبى عبد الله منشئ هذا البهو نقشت قصيدة فوق دائرة قصعة النافورة التى تحمل الأسود، وتضم اثنى عشر بيتًا، وهى للوزير الشاعر ابن زمرك[1]:

تبارك من أعطى الإمام محمدا
مغانى زانت بالجمال المغانيا
وإلا فهذا الروض فيه بدايع
أبى الله أن يلقى لها الحسن ثانيا

(١) أبو عبد الله محمد بن يوسف بن زمرك (١٣٣٣ - ١٣٩٠) ولد فى رياض البيازين بغرناطة، وزير من كبار الشعراء والكتاب بالأندلس، ولد بغرناطة، وتتلمذ للسان الدين بن الخطيب، جعله محمد الخامس الغنى بالله صاحب غرناطة كاتم سره، نكب ثم أعيد إلى مكانته فأساء إلى بعض رجال الدولة، قتل فى داره رافعًا المصحف وقتل معه خدامه وبنوه. وكان قد سعى فى أستاذه لسان الدين حتى قتلوه خنقًا، فلقى جزاءه. جمع السلطان ابن الأحمر شعره وموشحاته فى مجلد ضخم سماه «البقية والمدرك من كلام ابن زمرك»؛ وانتشر الكتاب فى الأندلس والمغرب؛ ونقل عنه المقرى وأطال فى نفح الطيب وأزهار الرياض.

ومنـحـــوتة مـن لؤلؤ شق نـورها

تجلى بمرفض الجـــمـان النواعـيـا

يذوب لجبن ســـال بـين جـــواهر

غدا مثلها فى الحـسن أبيض صافيا

تشـــابه جـــار للعـــيـون بجـــان

فلم نـدر منهـــمـا كـــان جـــاريا

ألم ترى أن الماء يجـرى بصفحـها

ولكنهـــا مـدت عـليـه المجـــاريا

كـمثل مـخب فاض بالدمع جـفنه

وغص بذاك الدمع إذ خاف واشـيا

وهل هى فى التحقيق غـير غمامة

تفيـض إلى الآساد منهـا السواقـيا

وقد أشبهت كف الخـليفة إذ غدت

تفـيض إلى أسـد الجـهـاد الأياديا

فـيا من رأى الآســاد وهى روابض

عداها الحـيا عن أن تكـون عواديا

ويا وارث الأنصـار لا عـن كـلالة

تراث جـلال يسـتخف الـرواسيـا

obeikandl.com

عليك سلام الله فأسلم مخلدا

تجدد أعيادا وتبلى أعاديا

وفى منتصف الجانب الجنوبى من بهو الأسود، يقابلنا مدخل قاعة بنى سراج. تلك الأسرة الغرناطية التى كان لها دور هام فى نهاية تاريخ غرناطة الإسلامي.

قاعة بنى سراج:

تعلو القاعة المستطيلة قبة مضلعة وفى جوانبها كوات صغيرة، وقد نقشت فى دائرة القبة الوسطى عبارة «ولا غالب إلا الله» بالنسخ والكوفى، ونقش فى دائرتين فى الجهتين اليمنى واليسرى، بيت شعر من نظم ابن زمرك:

فتحسبها الأفلاك دارت قسيها

تظل عمود الصبح إذ لاح باديا

ونقش فى جدار الصدر فى مواجهة الداخل هذان البيتان من نظم ابن زمرك:

تبيت له كف الثريا معيذة

ويصبح معتل النواسم راقيا

وتهوى النجو الزهر لو ثبت به

ولم تك فى أفق السماء جواريا

وفى وسط القاعة حوض نافورة مستدير من المرمر وكان لها منفذ آخر يواجه مدخلها، فسده الإسبان.

قاعة الملوك:

وفى الناحيــة الشرقيــة لبهو الأسود، مــدخل قاعة الملوك وتعــرف أيضًا بقاعــة العدل. ومدخلهــا عقد مــثلث الجوانب، وبها ثلاث عــقود أو حنايا، رسمت فى سقــف الحنية الوسطى منها صور عــشرة فرسان مسلمــين يلبسون العــمائم، ويجلســون على الوسائد، وتتــسم هيئــاتهم بالوقار ويقــال أن هذه الصــور لملوك غرناطة الــعشــرة الذين تولوا الحكم قــبل أبى عبــد الله، أولهم محمد الغنى بالله، وآخرهم السلطان أبو الحسن والد أبى عبد الله.

منظرة اللندراخا:

وفى شمال قاعة الأختين، وشــمال بهو الأسود، تقع منظرة اللندراخا. نشاهد فى عقد المدخل فجوتين، نقشت بينهما عبارة «ولا غالب إلا الله».

ونقشت فى كل منهما أربعة أبيات، تبدأ اليمنى منهما:

كل صنــع أهدى إلى جــمــــاله

وحــــبــــانى بــهــــاءه وكــــمــــاله

من رآنــى يظــننــى كــــــالدنــى

تخطــب الإبريق تبــــغى أن تنــاله

فــإذا مــــبــصــــرى تأمل حــــسنى

أكــذب الحــسن بالعــيــان خــيــاله

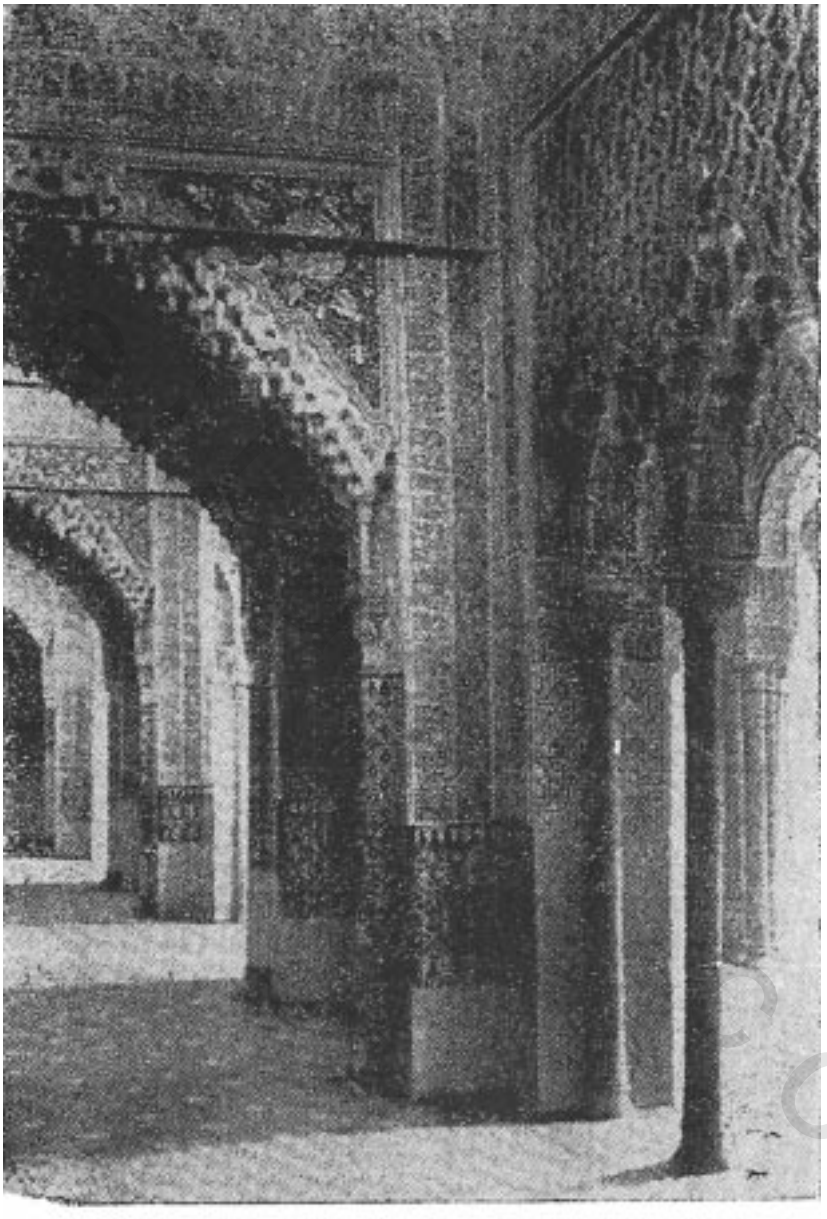

قاعة الملوك

ونقرأ فى الفجوة اليسرى:

لست وحدى قد اطلع الروض منى

عـجـبـا لم تر العـيـون مـثـاله

ذاك صـرح الزجـاج من قـدر رآه

ظـنـه لجـــــــة تروح وهـالـه

كل هذا صنـع الإمـام ابن نصـــر

حـــرس الله لـلملوك جـــلاله

آله فى الـقـديم حـــازوا المعـــالى

وهـــم آووا الـــنـــبـــى وآلـــه

ونقش تحت هذه الأبيـات «عز لمولانا السلطان أبى عـبد الله بن مـولانا السلطان أبو الحجاج».

ونقشت حول النافذتين اللتين بالرواق، قصيدة من اثنى عشر بيتًا:

وجـاء بها يراد الـهواء نسـيـمهـا

فـصـحت هواء والنسـيم قد اعـتـلا

وقد حـزت من كل المحاسن غـاية

تقبس عنهـا الشهب فى الأفق الأعلى

وإنى بهـــذا الـروض عين قـــديرة

وإنسـان تلك العين حـقًـا هو المولى

obeikandl.com

مـحـــمـد المحـــود بالبـــأس والندى

وذو الصيت ما أعلى وذى الهدى ما أملى

تجـلـى بـأفـق المـــلـك بـدر هـدايـة

فـــــــآثاره تـعلـى وأنواره تجـــــــلا

ومـــا هو إلا الـشـــمس حلـت بمنزل

أفىء عـليـــه كـل خـــيـــــر بـه ظلا

يطالـع منى حـــضـــرة الملـك كلمـــا

تجلى بكرسـى الخـلافـة مـا اســتـجلى

ويرسل طرف الطرف فى ملعب الصبا

فـيـــرجع مـرتاح المـعـاطف قـــد كـلا

منـازل فـــيـــــهـــــا للـعلون مـنارة

تقـيـد منهـا الطـرف أو تعـقل العـقـلا

وأبدى بهـــا أفق الزجـاج عـجـــائبـا

تخط على صـفح الجـمـال وتسـتـمـلا

تعـــدد فـيـــهـا اللون والنـور واحـد

فإن شـئت قل ضد، وإن شئت قل مـثلا

ونقش على صـحن نافورة اللنـدراخا قـصيـدة من تسعـة عشـر بيتًـا، مطلعها:

أنا حـــــقـــــا فـلم المـاء بدا

لـلأنام ظـاهرا لـم يحـــــجـب

لجـــة عظـيـــمـــة ســـاحـلهـــا

من بـديع المرمـــــر المنتـــــخب

متزين الملكة:

بقى أن نذكـر أن هناك رواقًا بين قاعـة الأختين وبين منظرة الـلندارخا، بهب باب يؤدى إلى ساحـة مستطيلة، أنشئت أيام الإمـبراطور شارلمان، وفى هذه السـاحة بابان يفـضى كـلاهما إلى الطبـقة العـليا التى تقع فـوق جناح الحمامـات، ويتصل بهذه الساحة رواق ضيـق يؤدى إلى «متزين الملكة»، وهو جناح علوى صـغيـر يقع فى نهاية الطرف الشـمالى للـحمراء، تحت الـبرج المسـمى «برج المتـــزين»، وهو برج يرجع إلى عـصـر السلـطان يوسف أبى الحجاج، ويحتـوى متزين الملكة على بهو صغيـر منخفض السقف، أنشئ فى القـرن السادس عـشر بـعد سـقوط غـرناطة، ورسـمت على جدرانه صـور وزخارف مـسيحـية، وتطل شرفـة المتزين على مديـنة غرناطة وعلى مرجـها الساحر.

الروضة:

وتقع فى خارج الحمراء خـرائب «الروضة»، أو مدفن ملوك بنى نصر، وهى واقعة فى جنوب شرقى فناء السباع، وعلى مـقربة من كنيسة سانتا ماريا التى شيدت فوق مرتفع مسجد الحمراء[1]، كان يقع مسجد الحمراء فى وسط

(١) محمد عبد الله عنان: الآثار الأندلسية الباقية ص ١٦٥ - ١٧٦.

الهضبة، جنوبى الروضة. وقد أمر بإنشائه السلطان محمد المخلوع المعروف بمحمد الثالث ملك غرناطة (١٣٠٢ - ١٣٠٩م) وقد بناه على أبدع طراز، وزوده بالعمد والزخارف والثريات الفخمة، فكان على صغر مساحته من أفخم مساجد غرناطة[١]. ولما احتل الإسبان غرناطة تركوا المسجد على حاله عصرًا، بعد أن أقاموا فيه هيكلاً واستعملوه كنيسة، ثم هدم فى عام ١٥٧٦م عصر فيليب الثانى ابن شارلمان، وأقيمت مكانه كنيسة سانتا ماريا ذات البرج الشاهق الذى يعلو كل صروح الحمراء.

ولم يبق من مخلفات هذا المسجد سوى مصباح برونزى بديع الشكل والزخرف يحفظ الآن فى متحف مدريد الوطنى.

جنة العريف:

شيد هذا القصر فى أواخر القرن الثالث عشر، ثم جدد وزين على يد السلطان أبى الوليد إسماعيل ملك غرناطة (حكم ١٣١٤ - ١٣٢٥م).

ويقع هذا القصر فى شمال شرقى قصر الحمراء، فوق ربوة مستقلة، وهو يشرف على الحمراء، وتدخل إليه من مدخل بسيط، نقشت سورة الفتح على لوحة خشبية كبيرة تحيط بالجزء الأعلى من رواق المدخل. ويؤدى هذا المدخل إلى ساحة كبيرة، فى صدرها مدخل ذو ثلاثة عقود عربية جميلة الزخارف وقد نقشت فى مربعاتها القصيدة الآتية:

قصر بديع الحسن والإحسان

لاحت عليه جلالة السلطان

(١) الإحاطة لابن الخطيب جـ١ ص ٥٥٤ و٥٥٥.

راقت مـــحـــاسنه وأشـــرق نوره

وهمت سـحـائب جـوده الهـتـان

رقـــمت يد الإبـداع فى أرجـــائه

وشـيـا كـمـثل أزاهـر البـسـتـان

فكأن مـجلسـه العـروس تبـرجت

عند الزفـاف بحـسنهـا الفـتـان[1]

وكـفاه من شـرف رفيع القـدر أن

نال اعـــتناء خلـيـفـــة الرحـــمن

خـيـر الملوك أبو الولـيـد المنتـقى

من نخـبـة الأمـــلاك من قـحطان

المقـــتـــدى بالطـاهرين جـــدوده

أنصـار خـــيـر الخلق مـن عـدنان

لحـقـــتـه منه عناية قـــد جـددت

منه جـــمـال مـــصـانع ومـــبـان

فى عـام نصر الدين والفـتح الذى

هو بالحـــقـــيـــقـــة آية الإيمان

(١) تصل إلى قصـر جنة العريف من طريق طـويلة صاعدة تظللهـا الأشجـار، ثم تجوز إلى أخرى تظللها أشجار السرو الكثيفة.

obeikandl.com

لا زال مـــعنوا بســـعـــد خـــالد

فى نـور إرشـــاد وظـل أمـــان

وقد نقشت آية الكرسى فى الجزء الأعلى من هذا العقد.

وفى القصر نقوش عدة متفرقة، فـوق عمد العقود، وفى عقود النوافذ، وفوق الجدران، وفى دوائر صغيرة منها:

لا إله إلا الله مـحـمد رسـول الله

ولا غـــــــــــالـب إلا الله

العـــز القـــائم الملـك الدايم لله

الـغـــــبـطة المـتـــــــصلـة

الحـمـد لله على نعـمـة الإسـلام

المـلـــك لله وحـــــــــــــده

وفيمـا يبدو كان قصر جنة العـريف مصيفًا أو متـنزهًا لسلاطين غرناطة يقصدونه للاستجمام والاستمتاع بجمـال موقعه، ويلجأون إليه لتمضية أوقات فراغ ومتعة.

إن آية فن الحـدائق عند المسلمين هى حدائق جنة العـريف.. هى شىء رائع من أشجـار الحور والأزهار والورد من كل صنف ولون وشجـر الريحان ووسط كل ذلك تقوم برك الماء والنوافير..

إن ما ذكرناه يتعلق بالطبقـة السفلى من قصر جنة العريف. ولكن الملكة «إيزابيلا» ملكة قشتالة قامت بعـد الاستيلاء على غرناطة سنة ١٤٩٢م؛ بإنشاء

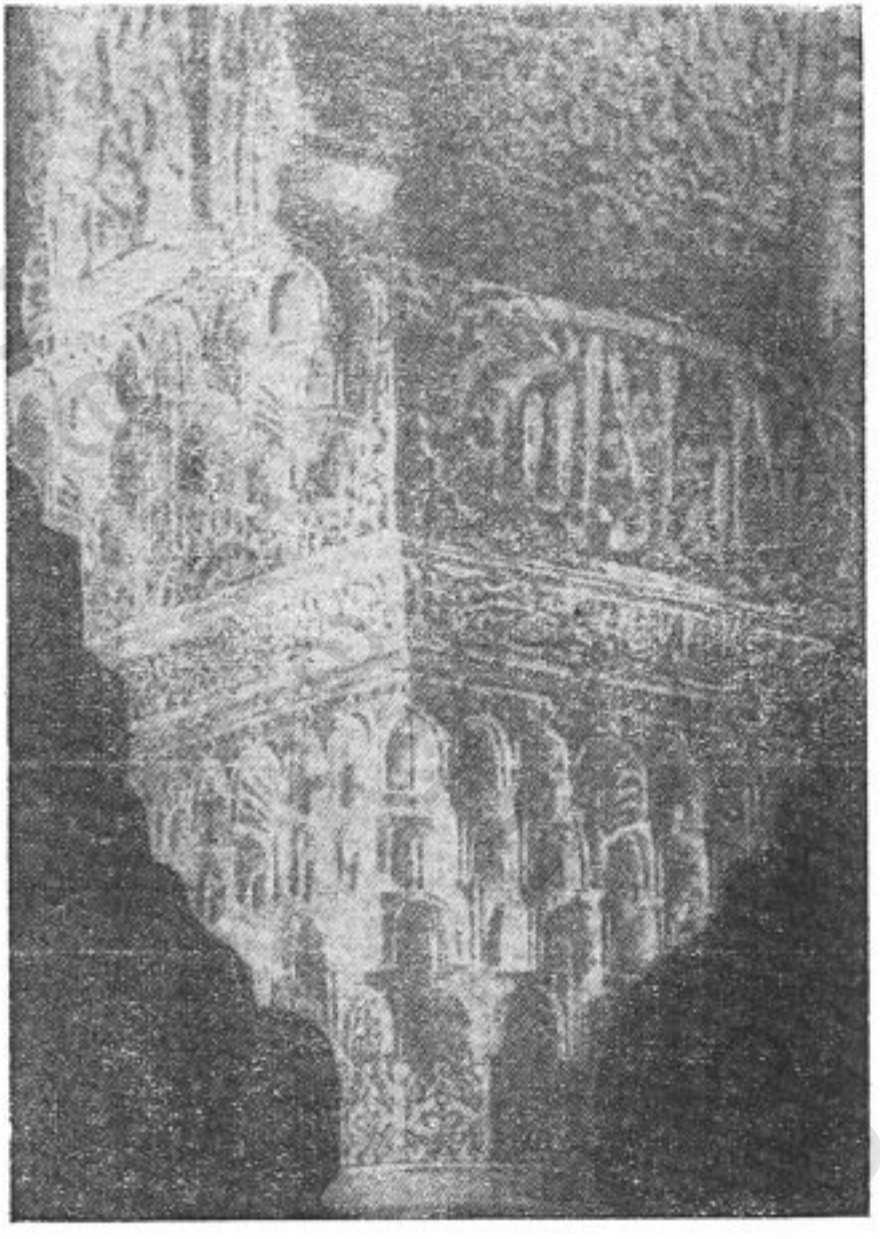

تاج واحد من عمد الحمراء
عليه نقش كتابى «لا اله الا الله»

طبقة عليا فوق البناء الأندلسى، تتكون أيضًا من رواقين طويلين، ومن جناحين متقابلين فى الشمال والجنوب، ذات سقوف مضلعة، على طراز عصر الأحياء. وكان الجناح الشمالى يضم متحفًا فيه عدة صور تاريخية لبعض ملوك قشتالة، والملكين الكاثوليكيين «فرناندو» و«إيزابيلا»، وصورة يقال إنها صورة أبى عبد الله محمد بن أبى الحسن آخر ملوك الأندلس. وقد استمر هذا المتحف قائمًا حتى عام ١٩٢١م. ويغلب اليوم الخراب على الطابق الأعلى من قصر جنة العريف وقد نزعت نوافذه ولكن القصر الأندلسى الأصيل ما زال بالرغم من هذا التشويه يبدو بطرازه العربى أخاذًا رائعًا[١].

البرطل:

يطلق لفظ البرطل على مجموعة من المبانى بقصر الحمراء شرقى بهو السباع وهى تتكون من برج السيدات يلاصق قاعة أمامها رواق. وأما هذه المجموعة بركة ماء. ويلاصق البرج عدة منازل صغيرة من الجهة الغربية، وفى المنزل الأول منها رسوم جدارية، ويقابل البرطل فى اللغة الإسبانية El Parcal وفى الإنجليزية Portico وقد بحث رسوم البرطل طائفة من علماء الآثار، كان من بينهم الدكتور جمال محرز[٢] بعد عملية ترميم لأنه كان آيلاً إلى السوقط. وتوضح هذه الرسوم مناظر صيد وفرق الجنود بملابسهم وسلاحهم وزخارف هندسية جميلة.

***

(١) د. محمد عبد الله عنان: قصر جنة العريف. مجلة قافلة الزيت فى شوال عام ١٣٩٠.

(٢) د. جمال محرز: الرسوم الجدارية أو الإسلامية فى البرطل بالحمراء، مدريد ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م.